الخطبة الخامسة والخمسون

إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

عن الحارث بن الحارث الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن فأوحى الله تعالى إلى عيسى: إما أن يُبَلِّغُهنّ أو تُبلغهنّ! فأتاه عيسى فقال له: إنك قد أُمِرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن تأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن! فقال له: يا روح الله! إني أخشى أِن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي! فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرفات، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله تعالى أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن، وأولهن: **أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا**، فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو وَرِقْ ثم أسكنه داراً فقال: اعمل وارفع إلي! فجعل العبد يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك! وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، **وأمركم بالصلاة**، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن الله عز وجل يقبل بوجهه إلى عبده ما لم يلتفت، **وأمركم بالصيام**، ومثل ذلك كمثل رجل معه صرة مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، **وأمركم بالصدقة**، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه، **وأمركم بذكر الله كثيراً**، ومثل

ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً في أثره، فأتى حصناً حصيناً فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى. وأنا آمركم بخمس **أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله**، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثي جهنم، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله» (حم - تخ - ن - حب - ك - الترمذي)(2863) - صحيح الجامع (1724).

(جثي جهنم): معناها جماعة جهنم، أو من جثى على ركبتيه من أهل النار والعياذ بالله. من فوائد الحديث:

1. أن عيسى ويحيى عليهما السلام كانا في وقت واحد، وفي بيت المقدس.
2. وأن يحيى عليه السلام مات قبل أن يرفع عيسى عليه السلام، لأن رسول الله قال مما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «وليس بيني وبين عيسى نبي» رواه مسلم (6280)؛ أي: لو أن عيسى رُفِعَ قبل يحيى لكان يحيى آخر الأنبياء حتى جاء رسول الله ﷺ، فيخالف هذا حديث مسلم الذي ذُكر.
3. خوف يحيى عليه السلام من غضب الله وعذابه إن لم يبلّغ ما أمره الله تعالى به.
4. كثرة المؤمنين من بني إسرائيل حين ملؤوا المسجد وجلسوا على الشرف.
5. أمر الله تعالى وشريعته تطبق على الأنبياء والمؤمنين لا فرق، قال تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف: 46/ 9]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٢٠٣﴾ [الأعراف: 7/ 203].
6. ومن أشرك بالله فقد حبط عمله ولو صام ولو صلى وزعم أنه مسلم فإنه من جثي جهنم لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [النساء: 4/ 116]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾ [المائدة: 5/ 72].

7. التحذير من الالتفات في الصلاة، فقال عليه الصلاة والسلام: «هو اختلاس يختلسُ الشيطان من صلاة أحدكم» البخاري (718).

8. ومن أكبر التحذيرات دعوات جاهلية، فإنها تتنافى مع الإسلام وعقيدته من هذه الدعوات ما هو مخرج من الملة وشرك أكبر، وقد يكون شرك أصغر، فقد انتشرت في الآونة الأخيرة قراءة الكف، وقراءة الفنجان، والأبراج وما فيها والتي صارت على قنوات التلفاز يومًا بيوم تخبر بالخير والشر، وما سيحصل للإنسان من يومه أو غَدِهِ، وهذا تأول على الله ومنافاة لما جاء في القرآن الكريم، وهذا الإنسان الذي يُخبر بالغيب يجعل نفسه فوق مرتبة الرسول لأن الله تعالى أمره بالقول: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: 7/ 188]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ﴾ [الأنعام: 6/ 50]، والآية العظيمة قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ [النمل: 27/ 65]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد» حم - ن - ت - د - جه - صحيح الترغيب والترهيب (3047)، وبعض الناس تسألهم لماذا تذهبون أو تطالعون الأبراج وتعلمون أنها شرك بالله؟! فيقولون: نفعلها للتسلية، ونفعلها حب استطلاع وفضول وهذه مصيبة أيضًا؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» رواه مسلم، وهؤلاء المنجمون يخبرون الناس بأكاذيب ويفترون على الله الكذب لقاء حفنة من المال فيخبرون الصبيَّة بأن عريسًا آتٍ من قريب، ويخبرون هذا بأن هذا سيولد له ولد، وما إلى ذلك، من يفعل ذلك يشرك بالله، ومن يصدقه يشرك بالله، ومن الشركيات الكثيرة من يذبح ذبيحة ويطبع بكفه بدم الذبيحة على سيارته أو على بيته، ومن يضع خَرَزَة أو يعلق حذاء طفل في مقدمة السيارة أو مؤخرتها، أو يضعون كفًا فيه عين، أو

يضعون حدوة حصان أعلى البيت، ومنهم الآن من يضع خيطاً أو خيوطاً في يده أو رجله، أو يضعون حلقة بلاستيكية في أيديهم وأرجلهم، ومنهم من يكفنون أمواتهم بأكفان مكتوب عليها يا علي، يا حسين، أو آيات من القرآن، وهذا كله لا يجوز وحرام. ومنهم من يضع وشماً على صدره آية من القرآن: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 17/ 82].

والقاعدة قوله عليه الصلاة والسلام فيما روته أمّنا عائشة رضي الله عنها: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» البخاري ومسلم، وفي رواية مسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أي أن هذا العمل مردود على صاحبه ولا يقبله الله تعالى، لأن الله تعالى لا يقبل إلا ما شرعه هو سبحانه أو ما سنّه رسوله ﷺ، وقد يكون معنى الحديث: أن هذا العمل قد يوجب صاحبه الردّة عن الإسلام إن كان في عمله أو قوله مخالفة العقيدة وما اتفق عليه المسلمون من الفهم الصحيح والاعتقاد السليم، ونعوذ بالله من الردّة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: 2/ 217].

فهذه بداية لبعض النقاط التي وردت في هذا الحديث المهم والشامل والحاوي على نقاط رئيسة لا بد من فهمها والإيمان بها. ولا أستطيع أن أوفي هذا الحديث حقه لأن هذا الحديث يلزمه عالم متخصص قد آتاه الله علماً وفهماً، ودوري أن أضع بعض النقاط المهمة وأُظهرها مما قد تعلمته من أساتذتي وشيوخي فجزاهم الله عني خير الجزاء، ومن هذه النقاط.

1. إن الرسل كلهم مشتركون في مهمة واحدة وقضية أساسية وهي: العقيدة الصحيحة، والتي قوامها لا إله إلا الله، والعبادة لله وحده، وعدم الشرك بالله تعالى. والشرك معناه أن تأخذ خاصية أو صفة لله تعالى وتعطيها لآخر وهذا يعني:

أ. أن تشرك بهذه الخاصية أحداً مع الله.

ب. أو أن تنفي هذه الصفة عن الله سبحانه وتعالى.

ج. أو أن تجعل صفة العبد هي صفة لله تعالى، كالذين قالوا: إن الله فقير، والفقر صفة للعبد، فالعبد قد يكون فقيراً، وحاشا لله أن يكون له ذلك، أو الذين قالوا: بأن له صاحبة أو ولد، فهذه خاصة بالعبد وللمخلوق أن يكون له صاحبة أو ولد أو ما شابه ذلك.

د. والذين نفوا عن الله سبحانه وتعالى خاصة من خصائصه، كالذين قالوا: إن الله لا يعلم الحوادث المستقبلية حتى تقع، فحاشا لله ذلك، لأن الله تعالى يعلم ما كان وما سيكون كل في إمام مبين. أما الذين أشركوا مع الله أحداً في خصائصه فهؤلاء كثيرون جداً وفي كل عصر وفي كل مكان، وهؤلاء الذين يدعون أحداً من دون الله ويتوسلون ويستغيثون بالأموات، والذين يؤمنون بالأشياء بأنها تنفع أو تضر أو تجلب الحظ أو تدفع الشؤم والسوء، كالحجب والتمائم والسحرة والمشعوذين ويستعينون بالجن ويذبحون الذبائح لغير الله، كل هذا من الشرك الأكبر والعياذ بالله. والعبادة لله وحده، ولا تصح العبادة إلا بما شرّعه الله تعالى أو سنّةُ رسوله الكريم. فالعبادات توقيفية أي يلزمها نص وأمر ووحي، إما وحيٌ قرآني أو وحيٌ نبوي.

2. وقد مثّل يحيى عليه السلام الشرك بالمثل الذي ضربه؛ بأن رجلاً اشترى عبداً فهذا العبد يعمل ويؤدي ما جناه إلى غير الذي يملكه. وهذا حال من يشرك بالله، فالله خلقك ورزقك وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، فأنت عوضاً عن أن تعترف بهذا وتشكره فإنك تقول: إن فلاناً قد أنعم عليك وأعطاك وتنسى الله تعالى، وعوضاً عن أن تشكره والشكر عبادة فإنك تشكر غيره، وتدعو غيره، وتسأل غيره، وتحب غيره سبحانه، وتطيع غيره مع أنه سبحانه هو الذي أوجدك وخلقك وأعطاك كل الذي عندك، فالأوامر التي أمر بها وذكرها يحيى عليه السلام مرتبة.

1. تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً.

2. الصلاة. 3. الصيام. 4. الصدقة.

5. وذكر الله كثيراً. ومثّل الله الصائم ورائحة فمه، كالذي معه صرة من مسك، ومثّل الله المتصدق بالرجل الذي أسره الأعداء وأرادوا قتله فافتدى نفسه بأن دفع القليل والكثير ليشتري نفسه من عدوه، وكذلك الإنسان فهو يفعل السيئات والفواحش والمنكرات كل يوم وفي كل حين، ويقصر في العبادة، ويقصّر في شكر الله سبحانه ويرتكب الموبقات التي مآلها جهنم، فهو بصدقته في سبيل الله يفك نفسه ويفتدي نفسه من عذاب الله، وفي كفالته للأيتام وفي إعانته للأرامل وإطعامه للمساكين يفك نفسه ويفتديها من عذاب الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: 63/ 10].

ويرى المحتضر عظمة الصدقة، فيتمنى أن يؤخره الله تعالى حتى يتصدق، وفي الآية التفاتة جميلة جداً وهي قوله: وأكن من الصالحين، وكأنه يقول: بأن صفة الصالحين وسنتهم هي التصدق، أي أن الصالحين هم المتصدقون بالقليل والكثير. وهذا الفهم يصدقه قوله عليه الصلاة والسلام: من حديث أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري: «والصدقة برهان» رواه مسلم، الصدقة برهان على إيمانك بما وعد الله ورسوله عباده المتصدقين. وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه كان لرجل من المنافقين نخلة مائلة في دار رجل مسلم ذي عيال، فإذا سقط منها تمر أكله صبية المسلم، فكان المنافق ينزع من أيدي العيال التمر، فشكا المسلم إلى النبي ﷺ، فكلم النبي صاحب النخلة أن يتركها للعيال وله بها نخلة في الجنة، فلم يفعل صاحب النخلة، فاشترى تلك النخلة أبو الدحداح الأنصاري رضي الله عنه ببستان فيه أربعون نخلة، وقال: يا رسول الله اشترها مني بنخلة في الجنة، فقال ﷺ: نعم والذي نفسي بيده، فأعطاها للرجل صاحب الصِّبية، قال ابن

عباس: فأنزل الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ [الليل: 92/ 5-11]، فالصدقة برهان، والصدقة من التصديق بوعد الله تعالى، تصديق بجنة الله سبحانه وتعالى، تصديق بالحسنى وإيمان بجزاء الله وفضله وتفضله على عباده المتصدقين.

ومثّل الله سبحانه وتعالى بالذِّكْر، كرجل طلبه العدو، فأتى حصناً حصيناً فاختبأ فيه، كذلك الإنسان يطلبه الشيطان ويوسوس له بالسوء، ونفسه تأمره بالسوء، والشهوات في كل مكان، ورفقاء السوء، والتلفزيون، والتلفون، والإنترنت، وكل شيء من حوله يدعو إلى الانحراف والضلال. وأصحاب الضلال والأفكار الخاطئة، ومن يقول على الله بغير علم، كل هؤلاء يدعون إلى الهاوية، فليس للإنسان حصن إلا بذكر الله تعالى كثيراً، والاعتصام بالكتاب والسنة فهي الحصن الحصين؛ لذلك ختم رسول الله ﷺ الحديث بقوله: «**وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله**» جماعة المسلمين المتمسكين بكتاب الله وسنة نبيه، والسمع والطاعة في هذه الجماعة، وعدم تفريق كلمة المسلمين، والهجرة إلى دار الإسلام، والجهاد في سبيل الله بكل الإمكانيات المتاحة للشخص، لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وحذّر عليه الصلاة والسلام من أي دعوى جاهلية تغيّر المنهج أو تغيّر ما أمر الله به ورسوله لذلك قال ﷺ: «ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثا جهنم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم» وهذا -والله أعلم- يدخل ضمن أي دعوة لم تأمر بها السنة الصحيحة، أو البدع لأن رسول الله ﷺ قال: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» أو شبهات خارجة عما اتفق عليها السلف الصالح، كالتي تسمعها اليوم مِمَّنْ يدّعون الإسلام ويتفننون في تفنيداتهم وآرائهم واجتهاداتهم التي خالفت ما أجمع عليه أئمة وعلماء المسلمين على مدى ألف وأربع مئة سنة، وهل الجماعة التي أمر بها رسول الله ﷺ إلا جماعة المسلمين

من الصحابة والسلف الصالح التي شهدت الأمة كلها لهم بالخيرية؟ قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: 4/ 115].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين